جامعات أم مصانع لإنتاج الشهادات الجامعية؟!

ظهرت مؤخراً قائمة بخمسمائة جامعة متميزة في التحصيل العلمي والأبحاث في العالم. وللأسف ,لم يكن بين هذه الجامعات الخمسمائة ولا جامعة عربية. وحسب جريدة "القاهرة" (٢٠٠٦/١٠/١٠) فإنَّ جامعة القاهرة أخذت المكان ال١٨٠٠ وأخذت جامعة عين شمس مكاناً بعد الألفين!

ولذلك يقول الباحث المصري ,الدكتور حامد عمّار إننا يجب أن نطرح قضية الجامعات في العالم العربي، بوصفها "قضية استراتيجية ومفتاحية للتقدم الحقيقي". هل نريد جامعات تكون حاضنات للبحث العلمي وللاختراعات أم نريد مصانع للشهادات ترضي المثقفين المتعلمين وهمياً، ولكنها لا تشكّل رافعة حقيقية للتغيير النوعي للتعليم وللمجتمع كله؟

ويَسأل الكثير من الباحثين الجادين في العالم العربي : هل نريد جامعات يكتظ فيها الطلاب وينعدم البحث الأكاديمي الحقيقي، أم نريد أن تقوم الجامعات ومراكز الأبحاث بإحداث نهضة علمية عامة ، وإحداث نهضة تنويرية عامة، وإحداث طفرة نوعية في الاقتصاد والتخطيط الشامل للتطور المجتمعي، هل نريد جامعات تقوم بدور حاسم في تطوير الاقتصاد والزراعة والإدارة وتقوم أيضاً ببناء قوات مسلحة عصرية تعتمد العلم الحديث مثل كل الجيوش الراقية في العالم؟ هل نريد جامعات مكتظة، تكون مصانع لتخريج الشبان المحبطين المقطوعين عن ديناميكية العصر ومسلوخين عن المنجزات العلمية الحديثة في مجال العلوم الطبيعية والرياضيات وفي العلوم الطبية، وفي العلوم الاجتماعية والاقتصادية والإدارية؟

يقول الدكتور حامد عمار: " أكرر أنَّ جامعاتنا أشباه جامعات، لا من قبيل التهوين بقدرها، وإنما رفضاً لسياسة الحشْد والحشْر للطلاب في قاعات الدراسة مما ليس له مثيل في الجامعات المقارنة"

ويقول إن عدد الطلاب الجامعيين في المرحلة الجامعية الأولى في مصر، وحدها، ارتفع في السنوات الأخيرة من ٤٠٠ ألف طالب وطالبة إلى مليون ونصف. ويقول إنَّ المقاعد لم تعد كافية، ولذلك فإن بعض الطلاب يُحْضرون المقاعد معهم ويضعونها في الممرات، في القاعات المكتظة، لكي يجلسوا ويستمعوا إلى المحاضرات!!

في المجلات العلمية العالمية يقولون، وبحق، إن الجامعات في أكثرية دول العالم الثالث هي جامعات من الدرجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة، بالمقارنة مع الدول المتطورة. كما أن الجامعات العالمية تضع عقبات جدية في وجه الطلاب القادمين من العالم الثالث لمواصلة الدراسة، وتختار منهم الموهوبين المبدعين.

سالم جبران *
salim_jubran@yahoo.com

الجامعة.. والديمقراطية

من القضايا الأساسية المطروحة عندما نبحث مسألة الدراسة الأكاديمية سؤال الأسئلة: هل الجامعات هي ساحة حقيقية للتفكير الحر، والاجتهاد والبحث؟ إن الجامعات في العالم تطورت خلال ال٣٠٠ سنة الماضية عندما قررت أن كل موضوع مطروح للبحث، وكل سؤال مشروع، وكل استنتاج هو استنتاج علمي، إذا توصلنا إليه عبر البحث الموضوعي الأكاديمي، النَّقي من الخوف من الحقيقة، والنَّقي من التملُّق للنظام. ليس صدفة أن الدول التي تحترم الديمقراطية تمنع الشرطة والمخابرات من دخول الجامعات، فالحرم الجامعي، هو للأساتذة وللطلاب، ولكن مغلق، قانونياً، أمام الشرطة والمخابرات وقادة الحزب الحاكم. الجامعات، في العالم المتقدم والراقي، لا تقوم بخدمة النظام الحالي، ولا بخدمة أي نظام، بل تقوم بخدمة المجتمع كله استراتيجياً، بعيداً عن السياسة الجارية. ولذلك فإن الجامعات هي دفيئات للنقاشات العاصفة، بين الطلاب والصراعات أيضاً، وهي دفيئات للإبداعات والاختراعات. الجامعات هي مشاتل لإعداد العلماء والباحثين والأطباء والمهندسين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس والعلوم التطبيقية والدقيقة، وهي أيضاً مشاتل لإعداد قادة للمجتمع مستقبلاً، خصوصاً من بين طلاب العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية.

في الجامعات، في الدول الديمقراطية، الجامعات مستقلة عن النظام السياسي الحاكم، ولكن الجامعات مرتبطة حتّى النخاع بحاجات المجتمع وتطلعاته، مرتبطة بالطموح القومي للمجتمع إلى الرقي النوعي، اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وعلمياً وإدارياً .

إن الدول الدكتاتورية، دول نظام الحزب الواحد، بدل ذلك تحاول أن تُربي أجيالاً خنوعة مطيعة للنظام، وصولية ومرتزقة، تأخذ تقدمها الوظيفي، من الولاء للنظام وزبانيته، تربي أجيالاً في إطار المسموح وتخاف بل وترفض التفكير بما هو محظور.

ولذلك فإن التناقض والاحتكاك بين المؤسسات الجامعية وبين النظام، في الدول الدكتاتورية هو أمر حتمي. وقد سمعنا، في السنوات الأخيرة عن المظاهرات البطولية للطلاب والطالبات، في ايران، رفضاً للتطرف الديني ورفضاً للوثنية السياسية ورفضاً للتحجر الاجتماعي ورفضاً للإكراه. كما كان للجامعات دور بالغ الأهمية في الانتفاضات التي سبقت سقوط الأنظمة الشيوعية المتزمتة في دول أوروبا الشرقية، ويقوم الطلاب، والمثقفون عموماً، بدور بطولي، الآن، في ربيع الثورة الشعبية الديمقراطية في دول أمريكا اللاتينية، كما كان للطلاب دور هام في الثورة السلمية في أوكرانيا قبل سنتين.

الجامعة.. والعمل السياسي

إن النقاشات الواسعة والعاصفة أحياناً، والصراعات التي تشهدها الجامعات، تؤكد حتمية انتصار الديمقراطية. والجامعة تمد الشعب بالأفكار الجديدة والنافعة وتمد الحركة السياسية بروافد من الشبان الحالمين المتطلعين إلى التغيير، وبالتالي، تقدِّم الجامعات للمجتمع قيادات شابة مناضلة. صحيح أن الأنظمة الدكتاتورية تأخذ إجراءات قمعية وإجراءات تتميز بالإغراء، لمنع قيام الجامعة بدورها الثقافي والاجتماعي والتنويري. ولكن من المحتم، في آخر المطاف، أن يطفح الكيل وأن يفيض نهر الغضب على الضفاف ويغمر الوطن كله.

جامعات متطورة علمياً مصلحة قومية عُليا

بناء على كل ذلك نقول أن هناك حاجة للترحيب بإقبال الجيل الصاعد على الدراسة الجامعية، ولكن يجب التفريق بين الجامعات الأكاديمية، وبين مراكز الإعداد المهني، ويجب أن تقوم مراكز الإعداد المهني بترقية جهاز الدولة والأجهزة الاقتصادية والمهنية، بينما الجامعة تقوم بالإعداد الاستراتيجي للنقلة النوعية إلى التقدم. يجب خلق مناخ يسعى فيه كل شاب وشابة إلى التطور العلمي والمهني، بالإضافة إلى خلق نُخَب علمية أكاديمية مبدعة تقتحم الآفاق العالمية، وبالتالي تسعى إلى اقتحام مجتمعاتها إلى الآفاق العالمية. إن جامعات راقية علمياً، بروح العصر، هي الرافعة الرئيسية للانتقال من تخلف العالم الثالث إلى صف العالم الأول.

الركود هو أخو الموت، والنقاش والاجتهاد، بلا حدود وبلا قيود، هما الأساس للنهضة العلمية والثقافية والاجتماعية الحقيقية. وكل الحواجز التي تقف في وجه الإبداع العلمي والثقافي والأكاديمي يجب هدمها.

إن الحركات السياسية النهضوية ومنظمات المجتمع المدني على كل أنواعها، والجامعات، والحركات الثقافية، حركات الأدباء والفنانين والإعلاميين، تحتاج في آخر الأمر إلى التوحُّد في تيار واحد، مدني واجتماعي، ديمقراطي نابع من قلب البيئة الوطنية وتراثها وخصوصياتها، لمجابهة الدكتاتورية العسكرية ودكتاتورية المخابرات ودكتاتورية نظام الحزب الواحد، ونظام القمع الذي يطالب الشعب كله، المجتمع كله، أن يعيش وأن يتصرف وأن يسلك حياتياً، حسب أوامر وحاجات الطغم الحاكمة، الشرسة والمفسودة، والعاجزة في نهاية المطاف.

إذا كان القادة، في النصف الثاني من القرن العشرين، في العالم العربي يجيئون من الجيوش، فإننا نقول إن انظمة العسكر استبدلت دكتاتورية الإقطاع بدكتاتورية العسكر. ولهذا فشلت وخلقت فساداً ليس أقل من دكتاتورية الإقطاع.

إن قوى المجتمع الجديدة، المدنية المتحالفة مع العلم والتقدم والديمقراطية هي هي حاملة لواء التغيير المطلوب- السياسي والاجتماعي والثقافي والتعددي في الأوطان العربية. وللجامعات دور غير مباشر ولكنه دور حاسم في صنع الثورة القادمة، من حيث الحلم الاجتماعي ومن حيث الكوادر القادرة على تطبيق هذا الحلم الاجتماعي الجديد.

* كاتب فلسطيني ـ الناصرة

حرية الفكر والإيمان

هناك من يظن أن حرية الفكر تقود إلى الكفر، وأن حرية المرأة تقود إلى الفسق، وأن العقل محدود فلا يمكن إطلاقه إلا كما نفعل مع طير القفص بتعريضه للهلاك. وهناك من يرى أن كل الخطر في تلقي العلوم الإنسانية من غير المسلمين في الفلسفة والتاريخ وعلم النفس والاجتماع: (فلا يجوز للمسلم أن يتلقى فيه إلا عن مسلم يثق في دينه وتقواه) كما جاء في كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب – فصل (التصور الإسلامي والثقافة). وسيد قطب نفسه لم يكن ليتكلم عن (ميكانيكا الكم) عند تفسير الآية (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) لولا أنه قضى أربعين سنة من عمره وهو يقرأ في فكر (الجاهلية)! فهذه أفكار أربع تأسيسية في بداية البحث، تناقض الفكر مع الإيمان، والعقل محدود الطاقة، ويجب عدم السماح للكفر بالتعبير عن نفسه خوفاً من هزيمة الإيمان إذا ظهر في ساحة المواجهة. وبكلمة أخرى، بناء الأفكار على الإكراه. أما العلوم التطبيقية من الفيزياء والكيمياء والفلك فلا بأس من نقلها مع حرمة الاطلاع على الذيول الفلسفية لها. فنقرأ (الفلك) بدون نظرية (الانفجار العظيم). وندرس (الفيزياء) بدون مبدأ (الارتياب). وندرس (الطب) بدون الإحاطة بنظرية التطور وعلم الجنين المقارن والدراسة الكروموزومية بين الإنسان والشمبانزي.

خالص جلبي*
kjalabi@hotmail.com

إن تفكيراً من هذا النوع، يشكل خسوفاً كلياً لشمس العقل، وضرباً من الإعاقة العقلية كما عند المشلولين، وانقطاعاً عن مسيرة الفكر الإنساني يحشرنا في شرانق محنطة من تراث لم ينجح في نقلنا إلى المعاصرة حتى الآن. والأهم عدم القدرة على التخلص من العقل النقلي والرسوخ في آسار من التقليد لا نهاية لها. وإذا كان التراث قد كتب في ظروف مشبوهة من الانسحاق السياسي بيد وعاظ السلاطين، فهو تراث لا علاقة له بمفاهيم القرآن، ولا يمثل أكثر من تراكمات لأفكار فقدت فعاليتها في عالم يحكمه منطق الفعالية، أو بتعبير (مالك بن نبي): عالم إسلامي يتم اغتياله مرتين بالأفكار الميتة والقاتلة. ويعني بالأولى الأفكار التي فقدت إشعاعها الحيوي ـ كما في اليورانيوم حينما يتحول إلى رصاص بعد استهلاك الطاقة ـ وتحولت إلى جثث متعفنة يجب أن نطبق عليها (السنّة) فنسارع في دفنها بعد أن فاحت رائحتها. فكما ان للأموات مقابر، يجب أن نبدأ في تهيئة مدافن للأفكار الميتة. أما (الأفكار القاتلة) فهي أفكار فعّالة نُقلت من وسطها إلى وسط مغاير بغير شروط نقلها فضرت من حيث أريد لها النفع، كما يحدث في نقل الدم لمريض بحقنه بزمرة خاطئة فنقتل المريض من حيث نريد شفاءه.

من هذه النماذج، البرلمانات ونظائرها، فهي من ناحية الشكل لا تختلف عما يحدث في أوروبا، لكنها من الخارج قبور بيضاء تضم من الداخل العظام وهي رميم. ومن الغريب أن فلسفة القرآن تناقض مفاهيم المسلمين المسيطرة، فهو يفترض أن الإيمان مؤسس على (التفكير) و (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب). اما نحن فنفزع من التفكير. ولم يتهم القرآن قط (العقل) أو (العلم) في الوقت الذي أدان (الظن والهوى) .. ونحن اختلط علينا العقل بالهوى. واعتبر القرآن أن حركة العقل مطلقة: وإنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا. بيد اننا نحاصر العقل في كل مجال، ونريد قتل الباطل بكل وسيلة، وضربة ١١ سبتمبر نموذج لها. وأمرنا القرآن: وقل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق؟ ونحن ننغلق على النص، وننفق عن الواقع والتاريخ، مع أنهما مصادر المعرفة. وقال الرسول: يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا. واعتبر القرآن ان العلم كم تراكمي لا نهاية له: وفوق كل ذي علم عليم. ونحن نطالب من حولنا أن لا يطّلعوا أو يطالعوا وأن يغلقوا عيونهم، ونصدر المذكرات والمنشورات في تحريم القراءة من كتب بعينها، كما فعلت الكنيسة من قبل. وكتاب «الكوميديا الإلهية» لدانتي لم تفسح الرقابة الكنسية عنه حتى نهاية القرن التاسع عشر، وكتابات سارتر الوجودي بقيت حجراً محجوراً حتى نهاية الستينات. وإذا كانت الكنيسة قد أحرقت العلماء وكتبهم مع الساحرات في الساحات العامة وعالجت السعال الديكي بلبن الحمير، فقد أحرقت كتب ابن رشد وحبس رهن الإقامة الجبرية مع اليهود والصعاليك.

واعتبر القرآن أن الكون لم ينته خلقه: ويزيد في الخلق ما يشاء. لكننا نظن أن نهاية العالم اقتربت، ونحن نعلم اليوم أن التاريخ لم يبدأ بعد، وما زالت الإنسانية في مرحلة الطفل الذي يوسخ نفسه ولا يحسن تنظيف قاذوراته. وأعظم شاهد على طفولة العقل الإنساني خطبة بوش الرئيس الأمريكي في شهر فبراير ٢٠٠٢، الذي خطب لمدة خمسين دقيقة في جمهور مترنح صفق له ٧٩ مرة وهو يهدد ويتوعد، مما دعا المحللين أن يسموها خطبة الكراهية. وان خمرة أفغانستان شديدة الكثافة خطيرة على الرشد. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا.

ولا نملك الا ملاحظة الكم الهائل من الإنتاج المعرفي الوارد الينا من غير المسلمين، بدءاً من داروين الذي كتب أصل الأنواع عام ١٨٥٩، وانتهاء بدونالد جوهانسون الذي كشف عن هيكل لوسي عام ١٩٧٨، الذي يعود لأكثر من ٣,٤ مليون سنة. وكل من غطس في التاريخ لفهم قوانين حركته، كان ممن لا يوثق في (دينه وتقواه) حسب تفكيرنا مثل (ويلز) صاحب كتاب (معالم تاريخ الإنسانية) أو البريطاني (توينبي) صاحب كتاب (مختصر دراسة التاريخ) أو الأمريكي (ويل ديورانت) صاحب سفر التاريخ بـ ٤٢ مجلداً عن (قصة الحضارة). فضلا عن ان كل الانتاج المعرفي في علوم الذرة أو المجرة كان من غير المسلمين، بدءا من تركيب العناصر في الجدول الدوري للعناصر الذي كشفه (ديمتري مندليف) الروسي، وأنتهاء باكتشاف تمدد الكون على يد الأمريكي ادوين هابل، أو تركيب الذرة على يد الدانماركي نيلز بور، أو فك إشكالية حركة الإلكترون في قانون الارتياب على يد الألماني فيرنر هايزنبرغ، أو معنى الحضارات وحركة التاريخ على يد (اوسفالد شبنجلر) الألماني، أو حركة المجتمع وتشريحه على يد الفرنسي أوجست كومت، أو قوانين علم النفس عند النمساوي فرويد أو سكينر من المدرسة السلوكية وفيكتور فرانكل وابراهام ماسلو من مدرسة علم النفس الإنساني.

وهكذا فالإنتاج المعرفي، شئنا أم أبينا، يهبّ علينا اليوم بماء منهمر برياح موسمية شمالية غربية. والسؤال الذي يطرح نفسه ما سبب نكبة الفكر عندنا؟ ولماذا أصبنا بهذا العقم المنهجي؟ ولماذا كل هذا الرعب من المعرفة؟ إن عدم السير في الأرض والاستفادة من التاريخ والواقع يجعلنا لا نستفيد من القرآن، وهو ما أشار إليه حديث (ابن لبيد) حينما أخبرهم صلى الله عليه وسلم عن (ذهاب العلم) فتعجب الصحابي وظن أن الأمر متعلق بقراءة القرآن، فقال: (وكيف يضيع العلم ونحن نقرأ القرآن وسوف نقرئ أبناءنا القرآن وأبناؤنا سيقرئون أبناءهم القرآن، فقال له صلى الله عليه وسلم: ثكلتك أمك ابن لبيد، لقد ظننتك أفقه من بالمدينة أو ليس اليهود والنصارى بأيديهم التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء). إن ما لم يفهمه الصحابي أن الانحطاط يمكن أن يحصل مع وجود القرآن لافتقاد آلة الاستفادة منه (العلم). كما فات الصحابي الجليل أن هناك آلية خفية يعيش فيها كل إنسان ولا يتفطن إليها وهي ارتباط النص مع حركة الواقع، كما يحدث من انفكاك عمود الحركة في السيارة عن العجلات فتتوقف عن السير. وعندما تنفك هذه الآلية لا ينتفع الإنسان من أي شيء حوله. ونحن اليوم نملك أعظم المصادر ويصب الذل على رؤوسنا مع شروق كل شمس. وعندما يقرأ المسلمون القرآن بعيون الموتى، لن يستفيدوا منه. وهناك من الأتراك والعجم من حفظ القرآن عن ظهر قلب بدون أن يفهم كلمة واحدة.

وعندما كان (محمد عبده) يخبر أن فلاناً حفظ القرآن، كان يقول: زادت نسخ القرآن واحدة. والفرق بين الفهم والحفظ مثل إنسان دخل صيدلية عامرة بالأدوية وهو لم يسمع بالكيمياء العضوية بعد. أو مثل جاهل نظر في السموات العلى، أو أمي نظر في وثيقة عن السلاح الذري باللغة الإنكليزية. فقد يتناول الأول دواء ساماً، ولن يفقه الثاني شيئاً عن نظرية الانفجار العظيم، ولن يفك الثالث الخط عن أخطر سلاح عرفه الجنس البشري، أكثر من خربشة أقدام الدجاج في الطين. إن عدم الانتباه إلى هذا يجعلنا لا نستفيد من القرآن.

إن صراع الفكر في وجه التعصب والخرافة طويل. ويذكر التاريخ أن (دانتي اليجيري Dante Alighieri الشاعر والسياسي الإيطالي الذي عاش بين عامي ١٢٦٥ ـ ١٣٢١ حُكم بالإعدام مرتين ونجا من حبل المشنقة، واختفى عن الأنظار سنوات طويلة، وأحرقت معظم كتاباته، وكان يصارع قوى مرعبة من غيلان الكنيسة ورجال الاكليروس، وفي السنوات السبع الأخيرة من حياته فضل أن يودع الحياة الدنيا بكل خرافاتها ليتصور نفسه في العالم الأخروي مع العقول النيرة يناقش في الفلسفة والدين والسياسة والدولة بدون خوف من جواسيس الكنيسة واستخبارات الحكومة في صحبة الشاعر فرجيل وحبيبته بياترس فكتب كتاباً مثيراً بعنوان «الكوميديا الإلهية» التي تعتبر أعظم أعمال النهضة وتضم أكثر من ١٠٠ قصيدة في ١٤٢٣٠ فقرة.

* مفكر اسلامي

اقتصاديات الوقت الف باء الادارة الحديثة

لاشك بان اهم مايمتلكه الانسان المعاصر هو الوقت الذي هو مجموع ثواني حياته القصيرة التي يعيشها على هذه الارض ولا سيما في هذا العصر الالكتروني السريع حيث في الوقت الواحد هنالك الاف الخيارات امامه للقيام باحداها سواء من اعمال رسمية او اتصالية او اطلاعية او الابحار عبر آلاف المواقع على الانترنت او مشاهدة احدى مئات المحطات على الدجيتال او استماع احدى عشرات المحطات الاذاعية على الموجة الواحدة او القراءة لاحد مئات الكتب او احدى الاف المقالات الممتعة والمفيدة الصادرة في مواضيع مختلفة في عشرات المجلات الاسبوعية او الصحف اليومية او زيارة المتاحف والمعارض والمسارح ودور السينما.. الخ

ولكن المهم في عصرنا الحاضر هو كيفية ايجاد الوقت الحر اللازم لدى الانسان المعاصر للاستمتاع ولو بجزء صغير جدا من كل ما تقدم عرضه من خيارات ولذلك فقد اخترع المتطورون من الناس وسائل كثيرة لتوفير كل ما يمكن توفيره من الجهد المهدور في غير محله والوقت الضائع به وذلك لخلق الوقت الفائض (الذي تقاس به رفاهية الامم المعاصرة) من اجل المزيد من الاستمتاع به بالقراءة والتفكير والتامل والابداع والاختراع والتطوير والفن والموسيقى..الخ فاخترعوا وانتجوا وطوروا المواصلات السريعة والاسرع والاكثر سرعة من الطيارة والباخرة والسيارة والقطار TGV.. الخ الخ وكذلك اوجدوا وسائل الاتصال السريعة والمريحة من الايميل والفاكس والتيلكس والهاتف والخليوي..الخ والات الطباعة والخياطة والتعليب والتغليف والنقل...الخ وكل وسائل الانتاج عالية الانتاجية والمردود وحتى المؤتمتة والمربوطة منها...الخ وكل ذلك لزيادة هامش الوقت الحر لدى الانسان المعاصر لاستغلاله فيما تقدم

وكذلك طوروا الحاسوب (الكمبيوتر) للاسراع بواسطته في الانجازات العلمية والتقنية والفنية والابداعية..الخ وتخزين اكبر كمية ممكنة من المعلومات واستدعائها باسرع وقت ممكن عند اللزوم وايضا طوروا فن الادارة الحديثة الذكية والرقمية والعمل عن بعد الذي يوفر اكبر كمية من الوقت والجهد وقسموا العمل الاجتماعي والمؤسساتي لزيادة الانتاجية وخلق المزيد والمزيد من هامش الوقت الحر للعيش به بما يليق بالانسان المعاصر..الخ فكم من مليارات الساعات المجهدة فيزيولوجيا وعصبيا قد وفرتها وسائل الانتاج الحديثة كانت تبدل في الحرث والزرع والحصاد والدرس و الطحن البدائي القديم وكذلك في العصر والخبز والطبخ والغسل والحياكة والنقل والمواصلات و ....الخ ولا عجب ان اصبحت المصارف في الدول المتطورة تقوم بدفع كل الفواتير المترتبة على الانسان في تلك الدول من التامين الصحي والماء والكهرباء والهاتف وقسط المنزل واقساط التامين على الحياة وحتى تجهيز المدفن والتابوت والموسيقا والزهور اللازمة للدفن في اليوم الاخير من الحياة وتحويل الوقت الموفر الى رفاهية حقيقية واعمال ابداعية اخرى وجديدة تغني الحضارة الانسانية والوطنية والذاتية . لقد عاش الانسان المتطور في بحبوحة من الوقت الحر للاستمتاع به فيما تقدم من خيارات في الفقرة (١) او للسياحة خلاله في بلاد الله الواسعة وزيارة المتاحف والاثار القديمة او الاستجمام على الشواطئ او الاستمتاع به في المطاعم والمقاهي والمنتزهات الفسيحة او حضور المحاضرات العامة والندوات والمؤتمرات العلمية او الاجتهاد في المكتبات والمختبرات للمزيد من الابداع والاختراع والتميز في ميادين الحياة الجديدة والعمل لاضافة كل مجتهد لبصماته المميزة له على جدار التاريخ الطويل واللامتناهي وبتلك الاجتهادات والتميزات تطورت العلوم التطبيقية والفنون الحياتية والابداعات والاختراعات العلمية والتكنولوجية والفنية والالكترونية بدون حدود وفي كل مجالات الحياة وبما يتجاوز الافق المنظور لحواس الانسان الخمس ولكن ويا للاسف الشديد لا يزال ابناء العالم الثالث والرابع والعاشر وربما العشرون ..الخ بعيدون جدا عن كل ما تقدم الا بما يستوردونه من منجزات الاخرين مما ورد ذكره من منجزات تقنية فهم لا يزالون يكدحون اغلب اوقاتهم وراء لقمة العيش المغمسة بالعرق وكثيرا من الاحيان بالذل والالم والدم لانهم لم يجهدوا انفسهم بتشغيل عقولهم الخام بالابداع او الاختراع العلمي والتقني والفني كما فعل المتطورون (او ربما لم يوجد لدى بعضهم الوقت الفائض من اجل ذلك) ولا بتصويب وتحكيم ضمائر ذوي القرارات فيهم لتحسين مستوى معيشتهم او تخفيف ما يمكن تخفيفه من الاعباء الحياتية عنهم وما بامكانهم فعل ذلك ولو على الاقل بتقليد المتطورين فيما فعلوا في هذا المجال وكيف سهلوا حياتهم وخلقوا فائض الجهد والوقت لديهم ..الخ ولذلك لايزال هؤلاء اللامبدعون لحلول مشاكلهم يجرجرون ارجلهم لدفع فواتير الماء والكهرباء والهاتف والخليوي والنظافة وقسط المسكن وتجديد اوراق السيارة وتسجيل معاملات البيع والشراء واخذ براءات الذمة وتجديد الاوراق الشخصية المنتهية الصلاحية...و...والخ هنا وهناك وهنالك في عمليات روتينية وبيروقراطية عقيمة وسقيمة ومنهكة ومدمرة للطاقة والوقت والاعصاب ولا سيما الاضطرار للوقوف الساعات الطوال بالانتظار بالدور على الرجلين المنهكتين في قمة الحر او القر في بعض المؤسسات القابضة الجاحدة او السادية لانها تضن على الدافعين لها بكرسي او مقعد خشبي او مروحة او مكيف او كلمة طيبة او حتى ابتسامة ونحن الذين نكرر في الصباح والمساء القول المأثور (ابتسامتك في وجه اخيك صدقة.. وان لم تسعوا الناس باموالكم فسعوا باخلاقكم ..الخ) ولكن يبدو اننا اصبحنا نضن بالابتسامة حتى على انفسنا امام المرآة هذا مع العلم ان اكثر الناس المراجعين للدفع في هذه الطوابير هم من كبار السن من المحامين والاطباء والمهندسين واساتذة الجامعات والمعلمين والموظفين الاخرين ورجال الاعمال...الخ سواء الذين عطلوا اعمالهم او هم المتقاعدين الشيوخ الذين قدموا لكي يقوموا بتسديد ما عليهم في الوقت المحدد حتى لا تقطع عنهم الخدمة وتسوء الحالة اكثر هذا واذا احتسبنا اجرة ساعة المحامي الامريكي المبذولة في قراءة دعواه بـ ٢٠٠ دولار (أي بحوالي عشرة الاف ليرة سورية) وساعة الجراح السوري بـ ٥٠٠٠ ليرة سورية وساعة العامل الالماني بحوالي ١٠٠٠ ليرة سورية وساعة الطبيب او المحامي العربي بما لا يقل عن ساعة العامل الالماني وساعة المدرس الخصوصي بـ ٣٠٠ليرة سورية ...الخ فكم يا هل ترى تهدر مليارات الليرات السورية شهريا من قيمة الساعات الضائعة في الجري وراء العمليات الروتينية العقيمة السقيمة التي كان من الممكن ان تسدد من قبل المصرف او تشغيل بها مئات الموظفين من الشباب الخريجين العاطلين عن العمل الذين يدخنون الاراكيل لحرق الوقت الطويل الممل لديهم ومما يزيد في الحسرة ويحر في الحرقة ان الحواسيب (الكمبيوترات) لدينا بلدت او تبلدت اذ هي لا تقوم بالسرعة والدقة... والجهد والانتاجية التي تقوم بها في بلاد الصنع فاغلب الفواتير المحسوبة لاتصدر في تاريخها المذكور على الفاتورة السابقة وكشف الهاتف المحسوب يتاخر كذا يوم واحيانا اسابيع عن تاريخ دفع الفاتورة وفواتير الماء لا تاتي في الوقت المحدد على الفاتورة السابقة وقس على ذلك فواتير الكهرباء والخليوي...الخ والسؤال: لماذا هذه التاخيرات ؟. ولماذا هذه الكمبيوترات اذن؟ولماذا لا يعلم المستهلكون بذلك مسبقا ؟ ولماذا لا يوظف الاف الخريجين الجامعيين العاطلين عن العمل بدى من الحواسيب العاطلة او المعطلة او الموظفين الكسالى ؟ ولماذا لا يقسم العمل فيما بينهم بشكل صحيح لتنجز الاعمال في حينها ويحمل المقصر مسؤولية تقصيره ؟ وتوفير مليارات الساعات الضائعة على الملايين من عباد الله الجارين وراء انجاز هذه الامورالعقيمة والسقيمة واللامفيدة لاحد والمعطلة للعمل والانتاج البديل هذا عداك عن غياب وتغيب ومرض وتمارض الموظف المسؤول بدون تكليف من ينوب عنه وايام العطل والمناسبات الكثيرة والطويلة..الخ اذ يمكن ان تزور المقصد اكثر من مرة لتدفع (لا لتقبض) فلا تجد الموظف المقصود لتدفع له (رغم انه ياخذ راتبه من الضرائب لخدمة الوطن عبر خدمة المواطنين وليس لارهاقهم وتضييع اوقاتهم) وهكذا تضيع حياة ابناء العالم الثالث والعاشر في اللهث وراء السراب في المتاهات الروتينية والدوائر البيروقراطية المغلقة والعمل العضلي المرهق والمنغصات الكثيرة وعندما يتهالك ذلك المتعب في منزله اخر النهار لا يجد رغبة في قراءة او كتابة او عمل فكري او ابداعي فيتبع الاسهل له مثل متابعة مسلسل تلفزيوني قديم او سماع اغنية عاطفية طويلة او التشعي على كيفية صنع طبق اليوم او مشاهدة مباراة كرة قدم وما يتخلل ذلك من دعايات تجارية سمجة واعلانات سخيفة تدعوا للغثيان فقط هم من لديهم الوقت الفائض في العالم الثالث هم بعض المسؤولين الذين يستغلون مناصبهم فيكلفون سائقيهم ومرافقيهم وسكرتياراتهم وخدمهم وحشمهم في القيام بكل هذه المهمات المقيتة واما هم فيجدون كل الوقت الكافي لاستقبالات وتوديعات الضيوف المماثلين والعزائم على الولائم العامرة.. وفي المهمات الرسمية شبه السياحية والتسوقية الماجورة خارج الحدود...الخ وليتهم يخصصون لحلول المشكلات المنوطة بهم جزءا ولو قليلا مما يهدرونه من الاوقات اللامنتجة لديهم والسؤال: متى سيحلم ابناء العالم الثالث بالوقت الفائض والجهد الموفر الذي يمكن تحقيقه عن طريق :

- الروبوت (الانسان الالي) الذي يعمل ٢٤ ساعة بدون كلل او ملل او شكوى لا يمرض ولا يتمارض ولا يذهب للمرحاض ولا للمؤسسة او لغيرها على حساب وقت العمل الماجور.
- الكمبيوترات غير البليدة ولا المتبلدة التي تعمل لوحدها بدون انسان وتنجز الاعمال والكشوف والفواتير في حينها وبدون ان تضطرك الى سؤال ذوي النفوس الحامضة دائما من المكلفين باداء نفس الخدمة.. او
- الارتقاء بالاداء الاداري الى مستوى فن الادارة الذكية والمجتمع الرقمي الذي تحل فيه القضايا وتتجدد فيه الاوراق ويحصل فيه على المستندات اللازمة باقل جهد واقصر وقت واقل كلفة .
- بمصارف معاصرة تقوم بما تقوم به مثيلاتها في البلدان المتطورة وتدفع ما يترتب علينا ومن حساباتنا مع حسم العمولة المكافئة للجهد والوقت او..
- بتوظيف كل الشباب المؤهلين المتواضعين المحتاجين المحبين للعمل والمجيدين له والمبدعين فيه ليقوموا بالاعمال اللازمة وفي حينها بدلا من المقصرين في اعمالهم المعطلين لاعمال الاخرين وساعتئذ ربما سيتوفر الجهد والوقت المطلوب والتمكن من التفرغ لما هو مهم واهم واكثر اهمية من اللف والدوران في الحلقات المفرغة وبالتالي التفرغ للعمل البديل المجدي وكذلك للقراءة والكتابة والترجمة والابحار في عالم الانترنت والدجيتال والمكتبات والاطلاعات لكسب المزيد والمزيد من المعارف والخبرات والمؤهلات المعاصرة اللازمة لتمثيلها وتبسيطها واعادة صياغتها الى جماهير الطلاب والمستمعون وخاصة للقراء من الجيل الحاضر او لمن سيقرأ من الاجيال اللاحقة فربما ساعدت على المساهمة في تحقيق ابداع او اختراع بما يفيد المجتمع او الانسانية او يفيد الذات على الاقل

ولمعرفتنا المسبقة ببطء تحقق أي مما تقدم فاننا نتمنى على كل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية بتطبيق الف باء الادارة الحديثة في المجتمع الرقمي المنشود القاضية بـ :

- اخذ كل ما تقدم بعين الاعتبار والعمل على اجراء محاضرات عامة او ندوات علمية بذلك لمناقشته وخلق راي عام به
- تقييم كل الطوابق والغرف والقاعات والمدرجات لديها وبالارقام العربية (العالمية المعاصرة ١-٢-٣) ليعرف المواطن المراجع في أي طابق هو ؟ ومن اين يذهب ؟ والى رقم أي مكتب ينبغي ان يتجه في معاملته؟.. الخ
- وكذلك نتمنى على المؤسسات القابضة التي يتجمع لديها عادة ثلاثة مراجعين فاكثر بان واحد ان تؤمن لديها كراسي او مقاعد خشبية لمن لا يقدر على الوقوف الطويل احتراما للمواطنة او للانسانية على الاقل.

عبدالرحمن البشيري